الجامعات العراقية مركزية و تحتاج إلى إصلاح تنظيمي

بعد تسع سنوات من الاجتياح الأميركي و بعد أشهر قليلة من انسحاب القوات الأميركية من العراق، مازالت الجامعات العراقية – التي دمرتها سنوات الدكتاتورية و العقوبات الدولية و الحروب – تكافح لتستعيد وضعها الطبيعي. لقد تحسن الوضع الأمني بعد السنوات المظلمة ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ حينما وصلت البلاد الى حافة الحرب الأهلية التي تسببت في اغتيال المئات من الأساتذة و هرب الآلاف منهم الى خارج العراق.

□ عن : نيويورك تايمز

اليوم يعود بعض هؤلاء العلماء. وزارة التعليم العالي و البحث العلمي لديها ميزانية اكبر و خطط أكثر طموحا، والجامعات العراقية تتطلع الى العالم الخارجي و تأمل ان تساعد المساهمات الدولية في إصلاح مناهجها الدراسية و استعادة كوادرها العلمية. من جانبها تستثمر الحكومة المزيد من الأموال في برامج البعثات من اجل إرسال آلاف الخريجين للدراسة في الخارج و بناء الكادر التدريسي الجديد في البلاد .

من جانب آخر، تبقى الجامعات العراقية مركزية و مسيسة و تحتاج الى إصلاح تنظيمي. فالعراق تحكمه أحزاب تمثل الأكثرية التي سبق ان عانت من التمييز في ظل النظام السابق ، اما اليوم فان العلمانيين من كل الطوائف قلقون من ان المستويات الدراسية و الحريات مازالت مهددة بالطائفية و بالفكر الديني و السياسي . انهم يشكون التمييز و يقولون ان التعيينات في الجامعات تتم وفق الانتماء الديني و الارتباطات السياسية اكثر من المؤهلات الأكاديمية . يقول ناجي العلي، استاذ دراسات الاجناس في كلية الدراسات الشرقية و الافريقية في جامعة لندن و الذي بذل جهودا كبيرة لايجاد حلقة وصل بين الاكاديميين العراقيين و اقرانهم في المنطقة " في السابق كان حزب واحد يسيطر على الجامعات و كان على المرء ان يكون مسؤولا حزبيا لكي يصبح رئيسا للجامعة او عميدا لاحدى الكليات. اما اليوم فكل حزب سياسي يسيطر على جامعة ما . فالجامعات الاربع الرئيسية في بغداد مثلا، كل منها يرأسها شخص يمثل حزبا او فصيلة سياسية معينة . انا لا اعرف العراق جيدا ، لكن بقدر تعلق الامر بالجامعات فان هذا البلد " الديمقراطي " الجديد يعاني الكثير من الخلل، حيث تلقي الطائفية و تهديدات العنف بظلالها على كل شيء ، كما وجدت ان الاكاديميين العراقيين الذين مازالوا داخل العراق يخشون من تسجيل حديثهم على جهاز التسجيل .

ان التحدي الذي يواجه المصلحين في التعليم العالي فريد من نوعه، فالبلد غارق في الانقسام الطائفي الذي ظهر على السطح بعد الاجتياح الأميركي ، كما ان العقوبات الاقتصادية التي دامت قرابة ثلاث عشرة سنة قد اعادت نظام التعليم الى العصور المظلمة بسبب نقص الموارد الاقتصادية و العزلة التامة مما كان يعني عدم وصول المجلات العلمية او المنشورات الحديثة الى البلاد . خلال تلك الحقبة و ما تبعها من الاجتياح و الاقتتال الطائفي ظهر عامل آخر زاد من تعقيد المسألة الا و هو الهجرة غير المسبوقة للكادر التدريسي التي نتجت عن اسباب اقتصادية و امنية مما يعني ان الجامعات باتت تعتمد على كوادر تدريسية متخرجة حديثا ليس لديها الكثير من الخبرة و معظمها كانت ضحية النظام التعليمي القاصر في سنوات التسعينات من القرن الماضي بسبب العقوبات الدولية التي فرضت على العراق، و هذا يعني ان على هذه الكوادر ان تشرف على التعليم و على عالم متغير لم تكن تألفه من قبل . الهيئات التدريسية تضم اعدادا كبيرة من الكوادر ضعيفة المستوى عادة ما يوصي بها حزب سياسي يعتقد بانها مؤهلة للمنصب . هناك تردد في قبول الاساتذة العائدين من الخارج و احيانا يقترن هذا التردد بعداء عميق تجاههم. الهيئات التدريسية الحالية في اغلبها غير قادرة على سد الثغرة التي سبّبها التردي الذي استمر لعقدين من الزمن. إن التحدي الحقيقي هو غياب الأشخاص المؤهلين. صحيح ان هناك ميزانية كبيرة و خططا طموحة الا ان تنفيذ تلك الخطط يشكّل العائق الاكبر . ليس هناك تخطيط للمستقبل بالمعنى الحقيقي للكلمة . فعدد الجامعات لا يتناسب مع احتياجات و قدرة البلد . ثم ان الجامعات تسيطر عليها الان فصائل سياسية ليست لديها الخبرة او الرغبة في تحديث النظام . كما ان التدخل الديني هو عائق آخر لا يمكن تجاوزه في هذه المرحلة .على الحكومة الحالية ان تعطي الاولوية لذلك لأن أي استثمار في هذا المجال من المحتمل ان يستغرق عقدين آخرين قبل ان يتضح التحسّن في جودة اي نوع من الخدمات في البلاد .

هل يستطيع العراقيون القيام بذلك دون الاعتماد كليا على الجامعات الغربية ؟

■ ترجمة المدى

كلمات عارية

■ شاكر الأنباري

مهرجانات اللحمة الوطنية

أغلب التحركات السياسية، ووجهات النظر، ونتائجها التي نتابع حصولها في السنوات الأخيرة تقود، قليلا قليلا، إلى تهشيم الرابطة الوطنية للعراقيين، كون العامل المناطقي، والطائفي، والتعصب، والثأر، والكيدية، تلعب دورا كبيرا فيها، سواء نحو ما يجري في الداخل أم على صعيد علاقات العراق ومواقفه من الأحداث العربية والدولية. وهو خلل كبير في رؤية الأحزاب الموجودة في السلطة، والمعارضة، خاصة اذا ما ادركنا ان مواقف كثيرة تتخذ من اجل مماحكة الخصم، وتفنيد رؤيته. اي ان المصلحة الوطنية بعيدة كل البعد عن المواقف التي تتخذ. وهذا ما يراه المواطن ايضا عبر الاعلام ويتأثر به حتما، في ضوء حقيقة ما يجري من خلط للأوراق، وتناقض التصريحات والمواقف، وافتقاد سياسة واضحة على الصعيد الداخلي والدولي. وكأن السياسة وممارساتها، بالطريقة التي نراها، تشكل عامل فرقة، وتنابذ، وتقوقع، على الذات الجهوية والدينية والقومية. هذا عكس ما تخلقه فعاليات اخرى أخذت تنتشر في الواقع العراقي. فعاليات يعول عليها لكي تكون معادلا لما تخلقه السياسة من تخلخل الهوية الوطنية، والبيئة العراقية التي يفترض بها أن تظل بعيدة عن الأوبئة والأمراض في المجتمع.

معرض المدى للكتاب في أربيل، على سبيل المثال، وقد بلغت عناوينه المليون، كما تقول التقارير، يجسّر هوة كبيرة بين الثقافة العربية والكردية، أيضا من خلال فعالياته الفكرية والتشكيلية والموسيقية، والابداعية، وهذا ما نحن بحاجة اليه في ظل التوترات بين الحكومة والاقليم، وانعكاس ذلك على العلاقات الاجتماعية، والانسانية، بين كرد العراق وعربه. وليس بعيدا عن اربيل ينعقد مهرجان ابو تمام الشعري في الموصل، حيث تقاطر الى ام الربيعين عشرات الأدباء من محافظات العراق كلها، ليتحاوروا، ويناقشوا واقع الثقافة العراقية، ويكرموا عددا من المبدعين لاسهاماتهم الشعرية المميزة في مسيرة الثقافة الوطنية. مما يلقي حجرا كبيرا في البركة الطائفية، والجهوية، والريبة الاجتماعية بين مكونات الوطن الذي يفترض ان يتسع للجميع، وبالتساوي، تجاوزا لعقدة، الكمية والنخبوية، لهذا المكون او ذاك، هذا الدين او غيره.

عدا ذلك تابعنا، وشاركنا، في مهرجانات اخرى اقيمت في المحافظات، كمهرجان الرواية في البصرة، ومهرجان الجواهري في بغداد، ومهرجان كزار حنتوش الشعري في الديوانية، ومهرجان القصة في النجف، فضلا عن المهرجانات الموسيقية والفنية والتشكيلية والمسرحية. وكلها تحمل الهاجس العراقي لدفع المأزق الى فضاء الحرية والانفتاح، ومعرفة الآخر معرفة حقيقية دون احكام مسبقة، بعد ان اصبح الحوار الحر حول كل شيء رافعة لتمتين اللحمة الوطنية وازالة الالتباس بين النخب الثقافية.

بدأت الثقافة الوطنية العراقية تتصلب إذن، وتينع، كي تكون المتكأ الأخير للوطن. انه انجاز للمثقفين العراقيين الذين يهمهم مصير البلد، ويهمهم ان تكون القوى السياسية الحاكمة على قدر أكبر من المسؤولية لمعالجة الملفات المتراكمة المتداخلة، وحلحلة العقد المستعصية، خاصة أن الثقافة أصبحت عينا فاحصة، وناقدة لما يجري، وتقف في المقدمة من اجل مجتمع حضاري. هي التي تمتلك مقومات الفضح، والتنوير، واشاعة المعرفة التي يريد البعض محوها بواسطة التجهيل، والظلامية، والخرافات، من اجل خلق شعب قطيعي، يقاد ببرامج عامة، وشعارات كبيرة تدغدغ العواطف والترسبات الذهنية اكثر مما تعبر بالبلد الى ضفاف التطور، والحياة الحديثة التي تتمتع بها أغلب شعوب الأرض.

صحوات ديالى تحذر من خلايا نائمة مرتبطة بالقاعدة

□ بغداد / المدى

حذرت قوات الصحوات في محافظة ديالى، من خطورة وجود خلايا نائمة مرتبطة بتنظيم القاعدة لا تزال تنشط في بعض المناطق، مؤكدة أن الجزء الأكبر من تلك الخلايا تختبئ تحت مظلة الأسر النازحة والمهجرة، داعية إلى تدقيق ملفاتها على نحو شامل للتأكد من موقفها الأمني.

وقال مسؤول قوات الصحوات في ديالى سامي الخزرجي في حديث لوكالة السومرية نيوز إن "تنظيم القاعدة لديه خلايا نائمة تشكل العمود الفقري لقدراته القتالية، التي يستعين بها بالقيام بأعمال عنف تهدف إلى زعزعة الأمن والاستقرار الداخلي"، محذرا "من خطورة وجود تلك الخلايا".

وأضاف الخزرجي أن "اغلب الخلايا النائمة نشطة وهي تقوم حاليا بدور سلبي من جانب محاولة التأثير على نسب الاستقرار الأمني على نحو عام"، مشيرة إلى أن "الجزء الأكبر من تلك الخلايا تختبئ تحت مظلة الأسر النازحة والمهجرة وتسكن المئات منها في أطراف المدن الرئيسة ومنها بعقوبة".

ودعا مسؤول قوات الصحوات في ديالى الأجهزة الأمنية إلى "إجراء تدقيق شامل في ملفات جميع الأسر لبيان موقفها الأمني عن طريق جلب المعلومات الأمنية من مناطقها الأصلية للتأكد من سلامة موقفها الأمني"، مشيرا إلى أن "تقيد حركة الخلايا النائمة وكشف عناصرها ستعطي دفعة قوية للملف الأمني وتفشل الكثير من مخططات القاعدة التي تعتمد على تنفيذها على تلك الخلايا بالوقت الحالي".

وكانت لجنة امن ديالى قد اتهمت في مناسبات عدة الخلايا النائمة المرتبطة بالقاعدة بأنها تقف وراء اغلب أعمال العنف التي تضرب مواقع مدنية وأمنية في مراكز المدن الرئيسة ودعت إلى معالجتها وفق آليات منظمة تعطي مرونة في كشفها وتقليل آثارها السلبية على الملف الأمني بصورة عامة. يذكر ان عددا كبيرا من قادة تنظيمات الصحوة في العراق نفى أن يكون عدد من أفراد التنظيمات قد انشقوا عن الصحوة وبدأوا بالانضمام إلى تنظيم القاعدة .وكانت تقارير إعلامية قد تحدثت عن انخراط عدد من أفراد الصحوة في العراق في صفوف تنظيم القاعدة الارهابي بسبب عدم إلحاقهم في صفوف القوات الأمنية العراقية أو بوظائف حكومية مدني وكان مقاتلي الصحوة، والذين يُعرفون أيضاً باسم "أبناء العراق"، قد شاركوا القوات الأمنية العراقية والأميركية في محاربة تنظيم القاعدة وجماعات مسلحة أخرى منذ عام ٢٠٠٦. وقد نقلت القوات الأميركية كامل مسؤولية قوات الصحوة إلى السلطات العراقية في أبريل ٢٠٠٩. ومن جانبها دمجت الحكومة العراقية بعض عناصر الصحوات في الأجهزة الأمنية المختلفة، في حين ألحقت غالبيتهم بوظائف مدنية في الوزارات والمؤسسات الحكومية.

البحث عن نصف الحقيقة: الصحفيون الأجانب كانوا محتجزين في الفنادق مع "هداياهم"

□بغداد / مصطفى حبيب

لذا، كان أول رد فعل للحاج أن أرسل لزوجته رسالة نصية يقول فيها "أنا بخير".

وبينما كانوا يستثمرون اللحظات الثمينة في التقاط الصور من خلف النوافذ، والحافلة تتابع سيرها نحو الأحياء السكنية، تنبّه الحاج إلى خلو الطرقات من السيارات المدنية والمارة وتساءل بلهجته المصرية المحبّبة: "هوه مفيش شعب عندكم؟".

في حافلة مكيّفة حديثة الطراز أقلّت وفدا صحفيا قادما من مطار بغداد عشية القمة، دارت أحاديث بين أبناء المهنة بلهجاتهم العربية المختلفة. "كنت أتصور اننا متجهون الى ساحة حرب"، قال أحد الصحفيين الجزائريين مذهولا من التنظيم والهدوء الذي بدت عليه بغداد للوهلة الأولى، فرد عليه آخر بأن بغداد تغيرت كثيرا، وبأنها اكثر أمانا بما لا يقاس.

بالنسبة لمعظمهم، كان مجرّد التفكير في المرور بطريق المطار المعد لاستقبالهم يعني قبل أربع أو خمس سنوات "كابوسا مرعبا" على حد تعبير عبد الله الحاج من جريدة الأهرام المصرية.

فالطريق الوحيد الذي يربط مركز العاصمة بمطارها بمسافة عشرة كيلومترات كان يسمى "طريق الموت" بفضل العبوات الناسفة المزروعة على جنباته، والسيارات المفخخة التي تستهدف ارتال القوات الأميركية ومواكب المسؤولين اثناء سفرهم وعودتهم.

ساعة وصول هذا الوفد، لم يعرف أي منهم أن الحكومة فرضت حظر تجوال غير معلن على أهالي العاصمة مدته عشرة أيام، وأن طرقات بغداد الرئيسية مقطوعة وأسواقها مغلقة وهواتفها الجوالة خارجة عن الخدمة. كل ذلك بغرض "إنجاح المؤتمر" كما صرح المسؤولون لاحقا.

خطة حماية القمة العربية التي دفعت رئيس الحكومة نوري المالكي الى تقديم اعتذار الى اهالي بغداد بسببها قضت بإقفال الشوارع الرئيسية القريبة من الفنادق المؤدية إلى المنطقة الخضراء، أي شوارع المطار وأم الطبول والزوراء والسعدون وأبو نواس والنضال وكرادة مريم وجسور الجمهورية والسنك وطريق القادسية والحارثية.

الصحفيون فوجئوا أيضا عندما أعلمهم مرافقهم وهو صحفي عراقي، بأن الحكومة صرفت ملايين الدولارات في تأهيل وترميم عدد من الطرق المحددة مسبقا كي تكون الوحيدة التي يمكن أن يسلكونها.

الحاج الذي بدا سعيدا بوصوله الآمن، سرعان ما تغيرت انطباعاته مع الساعات القليلة اللاحقة. "كان يعتريني الامل ان تنظم الحكومة لنا جولة ميدانية في بغداد. أن نتحدث مع الناس ونسمع اليهم، لكننا على ما يبدو ممنوعين من الحركة".

على الرغم من عدم وجود قرار رسمي يمنع الصحفيين من مغادرة مقرات عملهم او إقامتهم، إلا ان الخطة الامنية التي فرضتها حكومة نوري المالكي جعلتهم مقيدي الحركة، مثلهم مثل سكان العاصمة.

"من المستحيل ان تعثر على سيارة أجرة أو سيارة مدنية تقلك إلى حيث تريد" يقول الصحافي أحمد فرغلي من جريدة "الأيام" البحرينية .

فرغلي الذي يزور بغداد للمرة الاولى كان متفائلا أيضا بأن يجوب شوارع العاصمة واسواقها التاريخية لكتابة تقارير والتقاط بعض الصور، لا أن يقتصر عمله على نقل أخبار القمة، لكن "رئيس الوفد الصحفي الذي جئنا معه طلب منا عدم الخروج من الفندق"، يقول، "ولربما كانت هذه رغبة السلطات العراقية لحمايتنا".

الصحفيون المحليون كانوا مصدر المعلومات الوحيد لزملائهم في معرفة احوال واهوال سكان بغداد السبعة ملايين ونصف المليون نسمة. فالصداقة التي جمعت الطرفين على مدى أيام القمة الثلاث جعلت العديد من الزائرين يستخدمون عناوين الاتصال الخاصة بالعراقيين لإجراء مقابلات على الهاتف. "لولا ذلك، لكان من الصعب ان نخرج بتغطية فريدة"، يقول الفرغلي.

في المقابل، كانت حفاوة الاستقبال التي لقيها الإعلاميون لافتة له وزملائه. فأفضل فنادق العاصمة كالشيراتون وفلسطين وبغداد وبابل والرشيد جرى تاهيلها وترميمها خصيصا لإقامتهم، فيما استعانت الحكومة بكوادر إطعام وخدمات وتنظيف أجنبية لضمان أفضل مستوى من الراحة.

فضلا عن التجهيزات الفندقية وموائد الطعام، كانت "هدايا" بانتظار الوفود الإعلامية داخل غرفهم: بدلة الرسمية وشريحة هاتف نقال مع موبايل وحقيبة مع تجهيزات مكتبية.

تركيا التي لم تُدع كضيف شرف لحضور المحفل الإقليمي كما جرى في مؤتمرات سابقة كانت حاضرة بشكل غير رسمي عبر شركاتها التي نظمت عملياً كل شيء بدءً من إعمار الفنادق والشوارع ومقار القمة وليس انتهاءً بالادوات المكتبية والزهور.

بل إن الصحفيين العرب لاقوا صعوبة في التعامل مع نادلي الفنادق، اذ فوجئو بأن العاملين يتحدثون اللغة التركية والانكليزية دون العربية. وعلق أحد الصحفيين من الكويت ساخرا: "ترى هل نحن في اسطنبول أم في بغداد".

وعلى عكس التحضيرات الفخمة للصحفيين الضيوف من الاقامة والحماية الأمنية فان تحضيرات قاعات الاعلاميين وخدمات الانترنيت لم تكن بنفس المستوى على حد شكوى بعضهم.

يقول مبارك احمد الذي يعمل لصالح تلفزيون "الكويت" ان "الجانب الإعلامي من ناحية التجهيزات الفنية والقاعة الموجودة كان ابرز ثغرات قمة بغداد، فالقاعة لم تتسع الصحفيين الموجودين لتغطية الاجتماعات". ويضيف "لم يتح لنا الوصول إلى مصادر المعلومات من المسؤولين اذ حجبوها عن الصحفيين إلا نادرا".

وبحسب اللجنة الإعلامية لقمة بغداد، فإن ما يزيد على ألف صحفي عربي واجنبي ومحلي شاركوا في تغطية اعمال القمة العربية. وأقرت اللجنة على لسان أحد أعضائها تحسين الشيخلي بوجود "بعض الثغرات"، لكنه عزاها في اتصال مع "نقاش" إلى العدد الكبير من الصحفيين الزوار.

الإعلاميون العرب والاجانب كانوا محظوظين إذا ما قورنوا بزملائهم العراقيين الذين واجهوا عراقيل شتى بدأت قبل أسابيع من انعقاد القمة.

معايير المنظمين في منح هويات صحفية للمشاركة كانت غير واضحة ومحل انتقاد الأوساط الإعلامية. فالعشرات من العاملين في صحف مستقلة قدموا طلبات للتغطية قبل أسابيع جوبهت بالإهمال أو الرفض.

ويقول الصحفي في جريدة "ديوانية الغد" منتصر الطائي "انه لم يتسلم الهوية الخاصة التي تمنحه صلاحية دخول اماكن انعقاد الاجتماعات رغم انه قدم الطلب الخاص بذلك من خلال الموقع الرسمي للقمة في بغداد، وهو موقع أنشأته الحكومة قبل اسابيع للتحضير الاعلامي. ويعزو الطائي تجاهل طلبه إلى "استياء الحكومة من الإعلام المستقل وتفضيلها الإعلام التابع لها".

عاملو قناة "العراقية" التي بثت نقلا مباشرا لأعمال القمة كانوا الأكثر حظوة لدى المنظمين بحسب الطائي. فالقناة التابعة للبرلمان والمسيطر عليها فعليا من قبل الحكومة أنتجت برامج تشيد بالزعماء العرب وبثت أغاني وطنية تم إعدادها خصيصا، وعرضت برامج تحليلية لساعات طويلة يوميا تشيد بانجازات المالكي باستضافة الحدث البارز.

الصحفي العراقي الذي اضطر للمبيت داخل مكتبه بشكل يشبه المعتقل واستعان بالاغذية المعلبة للطعام حمل ذكريات سيئة عن القمة، فيما كان زميله العربي أو الأجنبي يقطن في غرفة فندقية "خمس نجوم" مع أشهى وجبات الطعام، لكنه غادر البلاد وهو يحمل في جعبته نصف الصورة الحقيقية عن بغداد.

■ عن :نقاش ويكلي